

البداية والنهاية

الخلق كلهم عيال [] وينبغي أن يحمل هذا على غير ما ثبت به الحديث وقال المدائني قال عبد الملك لمؤدب أولاده وهو إسماعيل بن عبيد [] بن أبي المهاجر علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن وجنبهم السفلة فإنهم أسوأ الناس رغبة في الخير وأقلهم أدبا وجنبهم الحشم فإنهم لهم مفسدة واحف شعورهم تغلظ رقابهم وأطعمهم اللحم يقووا وعلمهم الشعر يمجدوا وينجدوا ومرهم أن يستاكوا عرضا ويمصوا الماء مصا ولا يعبو عبا وإذا احتجت أن تتناولهم فتناولهم بأدب فليكن ذلك في سر لا يعلم بهم أحد من الغاشية فيهنوا عليهم .

وقال الهيثم بن عدي أذن عبد الملك للناس في الدخول عليه إذنا خاصا فدخل شيخ رث الهيئة لم يابه له الحرس فألقى بين يدي عبد الملك صحيفة وخرج فلم يدر أين ذهب وإذا فيها بسم [] الرحمن الرحيم يا أيها الإنسان إن [] قد جعلك بينه وبين عبادته فاحكم بينهم بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل [] إن الذين يضلون عن سبيل [] لهم عذاب شديد بما نسو يوم الحساب ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما نؤخره إلا لأجل معدود إن اليوم الذي أنت فيه لو بقى لغيرك ما وصل إليك [فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا وإني أحذرك يوم ينادي المنادي احشروا الذين ظلموا وأزواجهم ألا لعنة [] على الظالمين قال فتغير وجه عبد الملك فدخل دار حرمه ولم تزل الكآبة في وجهه بعد ذلك أياما وكتب زر بن حبيش إلى عبد الملك كتابا وفي آخره ولا يطمعك يا أمير المؤمنين في طول البقاء ما يظهر لك في صحتك فأنت أعلم بنفسك واذكر ما تكلم به الأولون ... إذا الرجال ولدت أولادها ... * وبليت من كبر أجسادها ... وجعلت أسقامها تعتادها ... * تلك زروع قد دنا حصادها

فلما قرأه عبد الملك بكى حتى بل طرف ثوبه ثم قال صدق زر ولو كتب إلينا بغير هذا كان أرفق وسمع عبد الملك جماعة من أصحابه يذكرون سيرة عمر بن الخطاب فقال أنهى عن ذكر عمر فإنه مرارة للأمراء مفسدة للرعية وقال إبراهيم بن هشام بن يحيى القباني عن أبيه عن جده قال كان عبد الملك يجلس في حلقة أم الدرداء في مؤخر المسجد بدمشق فقالت له بلغني أنك شربت الطلا بعد العبادة والنسك فقال أي وا [] والدما أيضا قد شربتها ثم جاءه غلام كان قد بعثه في حاجة فقال ما حبسك لعنك [] فقالت أم الدرداء لا تفعل يا أمير المؤمنين فإني سمعت أبا الدرداء يقول سمعت رسول [] (ص) يقول لا يدخل الجنة لعان وقال أبو بكر بن أبي الدنيا ثنا الحسين بن عبد الرحمن قال قيل لسعيد بن المسيب إن عبد الملك بن مروان قال قد صرت لا أفرح بالحسنة أعملها ولا أحزن على السيئة أرتكبها فقال سعيد الآن تكامل موت

